على حساب شعوب المنطقة ، للحيلولة دون نهوض هذه الشعوب والسير في مسيرة الانسانية . لقد وضعت الامبريالية الامريكية كل منتجات عبقرية الشر سلاحا في أيدي الاحتلال الصهيوني لقمع شعوب المنطقة ولمنعها من السيطرة على مصيرها وثرواتها ، فكانت اسرائيل ، بكل هذه المعاني ، هي الوجود الاستعماري الجديد الذي يقوم بخدمة حراسة المصالح الامبريالية ، وتقوم الامبريالية بدورها بمكافأتـــه بتقديم مخالبها له ، وبتغطية احتلاله وتوسعه .

لقد انتظر الشعب الفلسطيني المشرد ، صحوة الضمير العالمي ليعيد اليـــه حقوقه القومية العادلة . انتظر في المخيمات وعلى أبواب وكالة الغوث وأمام لجـــان حقوق الانسان ، وبكى طويلا أمام الملفات الكبيرة التي تحمل وعودا باسترجاع حقوقه . وكان الوقت يمضي فتزداد الآلة العسكرية الاسرائيلية جبروتا ، ويزداد المصـــير الفلسطيني بؤسا ، ويتكاثر عدد اللاجئين ، وتنفتح ابواب فلسطين أمام الهجرة الصهيونية التي لا تنتهي .

ليست هنالك قضية اكثر عدالة من عدالة لجوء الفلسطينيين الى سلاح اكثر فعالية من فعالية الشكوى والانتظار السلبي لاسترجاع حقوقهم ووطنهم . هذه هي المعادلة في هذا الزمان : من يملك حقا ولا يملك قوة لحماية الحق يبقى حقه مجانيا وضائعا . ومن يملك قوة دون حق يستلب حقا من الآخرين . ومنـــذ عشر سنين ، منذ اعلان الثورة الفلسطينية على البؤس الذي لا مثيل له في العالم الثالث ، وعلى الخطيئة الصهيونية التي لا مثيل لها في العصر ، والفلسطينيون يحمون الطريق الى وطنهم وحقوقهم بالقوة . وصار هذا الفلسطيني المقهور الخارج من الخيمة الـــى خندق العدالة ، هو النموذج العربي الجديد لاعادة ترتيب عناصر المصير العربي وفقا لارادة الشعوب العربية . ومن هنا ، كانت الحالة الفلسطينية العربية الثائرة واحدة من انبل حالات الدفاع العادل في التاريخ البشري . وان مدى المشاركة الانسانية في تجذير الوعي العالمي بجوهر القضية الفلسطينية قد تحول الى احد المقاييس الاخلاقية العامة لاهلية الانتماء الى قيم الانسان . وان هذه المشاركة التي هي ، في الوقت ذاته ، اسهام الضمير في مقاومة الخطيئة ، تعتبر امتحانا قاسيا لمصداقية ما توصل اليه الجهد البشري من اقرار قيم التعامل المتساوي بين الشعوب .

هذه الارض الفلسطينية العريقة التي كانت رحم أنبل الدعوات الى الحرية والعدل والسلام ، تستحق من الانسانية التي حظيت بعطاياها العظيمة ان تسدد بعضا من أثمن الديون . وان الكفاح المقدس فعلا من اجل ان يكون مصير هذه الارض بعض الامتداد لعطائها التاريخي الكبير هو مهمة انسانية شاملة ، لننظر الى صلب الصراع . انه ليس صراعا بين حدود حقين كما يزعم بعض مثقفي الغرب الليبراليين ، لان الحق لا يصارع حقا . فاذا كان احد الطرفين حقا فلا بد من أن يكون الطرف الثاني باطلا . وهو ليس صراعا بين أديان وطوائف . انه صراع بين محاولة لاعادة التاريخ الى سن الظلمات والقفز على الفي سنة من التطور التاريخي من جهة ، وصراع بين امتداد هذا التطور واحترام قوانين التاريخ والانسان . ان الصهيونية التي تمثل الطرف الاول من الصراع تحاول تجريد التكوين الانساني الشامل من مقوماته الفلسطينيـــة ، وتسعى الى طرد الفلسطيني من الاقامة في صلب المنجزات الروحية والانسانية التي أبدعها الانسان عبر التاريخ ، بعدما اقتلعته من الارض وكسرت تجمعه وكيانه .

عم يدافع الصهيوني ؟ عن سيادة التعصب الديني والاستعمـــار في أبشع صوره . يدافع عن « حقه » في التنفس من رئات شعب آخر . يدافع عن أنانيته الضيقة في ان يكون وحده ، ويشترط حضوره بغياب الآخرين . ويدافع عن سابقة البناء العدواني على